Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 50, No. 3, 2023

Deanship of Scientific Research

Continuity and Change in Russian Foreign Policy Towards the Palestinian Cause: From Inception to 2021

Haila Al-Mekaimi *

Department of Political Science, College of Social Sciences, Kuwait University, Kuwait City, The State of Kuwait.

Received: 16/11/2021
Revised: 4/1/2022
Accepted: 7/3/2022
Published: 30/5/2023

* *Corresponding author:*
haila.almekaimi@ku.edu.kw

Citation: Al-Mekaimi, H. (2023). Continuity and Change in Russian Foreign Policy Towards the Palestinian Cause: From Inception to 2021. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *50*(3), 422–434.
https://doi.org/10.35516/hum.v50i3.5424

© 2023 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This literature review in political science aims to examine the phenomenon of continuity and change in foreign policy. Specifically, it focuses on identifying the significant factors that influence Russian policy towards the Palestinian cause. Additionally, it tracks the developmental stages of Russian policy in this regard and offers insights into Russia's future role.

Methods: The study adopts a structural approach to analyze the key factors shaping Russian policy towards the Palestinian issue.

Results: The analysis reveals that Russian policy towards the Palestinian issue has evolved through several stages. These include the stability of the Bolshevik government during the Arab uprisings and the Jewish proletariat revolution (1917-1947), the shift in Soviet Union's policy towards supporting the establishment of an occupying state (1947-1948), the Soviet change in approach towards Arab nations and the coup against Israel (1952-1985), the Russian transition from alignment-based policy to international mediation (1985-2000), Putin's policy characterized by mediation and bargaining (2000-2011), Russia's simultaneous rise during the Arab Spring revolutions with a focus on the Syrian file (2011-2015), and the rejection of the "deal of the century" while continuing Russia's ascent in international partnerships (2015-2021).

Conclusions: The study concluded that the continuity and change in Russian policy towards the Palestinian issue, from its inception to the present, are significantly influenced by the international environment.

Keywords: Foreign policy, Arab national security, deal of the century, the Quartet committee.

الاستمرار والتغيُّر في السياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية منذ النشأة وحتى العام 2021

*هيله المكيمي**

قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الكويت، مدينة الكويت، دولة الكويت.

ملخّص

الأهداف: استعراض أدبيات العلوم السياسية المتعلقة بظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الخارجية، تعرُّف أهم العوامل الإقليمية والدولية المؤثرة في ظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية، رصد مراحل تطور السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية، استشراف الدور المستقبلي لروسيا تجاه القضية الفلسطينية من أجل الإفادة من ذلك الدور لمصلحة أمن واستقرار المنطقة العربية.

المنهجية: استخدام المنهج البنيوي الذي يسعى إلى تحليل العوامل البنيوية المؤثرة في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية .

النتائج: الدراسة في ايضاح أن السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية مرت في العديد من المراحل بما فيها: ثبات الحكومة البلشفية من الانتفاضات العربية وثورة البروليتاريا اليهودية (1917-1947)، التغيُّر في سياسة الاتحاد السوفييتي نحو دعم قيام دولة الاحتلال (1947-1948)، التغيُّر السوفييتي في التقارب مع العرب والانقلاب على إسرائيل (1952-1985)، التغيُّر الروسي في الخروج من سياسة المحاور إلى الوساطة الدولية (1985-2000)، التغيُّر الروسي في سياسة بوتين ما بين الوساطة والمساومة (2000-2011)، استمرار الصعود الروسي تزامنا مع ثورات الربيع العربي وأولوية الملف السوري (2011-2015)، رفض صفقة القرن واستمرار الصعود الروسي في الشراكة الدولية (2015 -2021).

الخلاصة: إن البيئة الدولية تمارس دورًا رئيسًا في ظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الروسية تجاه القضية منذ نشأتها وحتى الوقت الراهن.

الكلمات الدالة: السياسة الخارجية، الأمن القومي العربي، صفقة القرن، اللجنة الرباعية.

المقدمة

جاء الرفض الروسي الصريح لمبادرة السلام التي أطلقها الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، التي عُرفت بما يُسمى بـ «صفقة القرن» بمنزلة تحول جديد في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية. وهو تحول يسعى إلى مزيد من الاستقلالية عن الموقف الأميركي الذي عُرف بإنحيازه تجاه الطرف الإسرائيلي على حساب نظيره الفلسطيني. كما حرص وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف على تعيين مبعوثه الشخصي للسلام في الشرق الأوسط. ودعمت روسيا المطالب الفلسطينية بعقد مؤتمر دولي من أجل إطلاق آلية متعددة الأطراف لرعاية المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وتنطلق تلك الآليات من القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة التي تنص على أن الأراضي الفلسطينية هي الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب 1967. وفي مطلع العام 2021 الذي شهد قدوم الإدارة الأميركية الديموقراطية الجديدة بقيادة الرئيس جو بايدن، جدَّدت روسيا دعمها الاقتراح الفلسطيني من أجل عقد مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط على المستوى الوزاري. ونشطت الدبلوماسية الروسية في الوساطة ما بين الفصائل الفلسطينية من أجل تجاوز حالة الانقسام الفلسطيني التي تُعَدّ مطلبا رئيسا لإنجاح عملية السلام الشاملة.

المشكلة البحثية وتساؤلاتها

على الرغم من حالة التقارب الروسي تجاه القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فإن السياسة الروسية شهدت تذبذبا في فترات تاريخية مختلفة. ففي البدايات الأولى لنشأة إسرائيل، كان الاتحاد السوفييتي قوة دولية مساندة لتأسيس ذلك الكيان. وعلى الرغم من تغيُّر سياسة الاتحاد السوفييتي فيما بعد إثر حالة الاستقطاب التي فرضتها الثنائية القطبية مع الولايات المتحدة الأميركية، حيث استقطب الاتحاد السوفييتي حركات التحرير العربية، فإن من الصعب في الوقت نفسه تجاوز حقيقته باعتباره قوة دولية مؤسسة لدولة الإحتلال. بل حتى في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حيث ظهرت روسيا بوصفها وريثا شرعيا للاتحاد السوفييتي، فقد أسهمت روسيا الفيدرالية في ضخ دماء جديدة في إسرائيل من خلال هجرة ما يقرب المليون روسي من أصول يهودية. وشكَّلت تلك الهجرة من الروس المتعلمين سببا رئيسا في القفزات التي حققتها إسرائيل في مجال الاختراعات والابتكارات في علم الفضاء والتكنولوجيا والأمن السيبراني. لذلك تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن عدد من التساؤلات المهمة التي تتمثل في: ما أسباب ظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية؟ وما أبرز التحولات التي طرأت على السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية منذ نشأتها وصولا إلى الوقت الراهن؟ وكيف بالإمكان الإفادة العربية من تلك التغيرات لمصلحة القضية الفلسطينية والأمن القومي العربي؟

أهمية الدراسة وأهدافها

تقع القضية الفلسطينية في صلب قضايا الأمن القومي العربي، التي برزت منذ الحقبة الاستعمارية للمنطقة العربية حيث تمكنت جميع دول المنطقة من التخلص من تلك الحقبة، لتظل القضية الفلسطينية ترزح تحت وطأة بقايا ذلك الاستعمار الكولونيالي. ومع تصاعد السياسات التي تطلقها الدبلوماسية الروسية لحل القضية الفلسطينية حيث اتسمت تاريخيا تلك السياسات بحالة من التذبذب، تسعى هذه الدراسة إلى تعرُّف طبيعة ذلك التغيُّر في السياسة الروسية حتى تتمكن الدول العربية من الإفادة من تلك المبادرات الروسية على أكمل وجه. لذلك تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

1- استعراض أدبيات العلوم السياسية المتعلقة بظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الخارجية.

2- تعرُّف أهم العوامل الإقليمية والدولية المؤثرة في ظاهرة الاستمرار والتغيُّر في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية.

3- تعرُّف مراحل تطور السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية.

4- استشراف الدور المستقبلي لروسيا تجاه القضية الفلسطينية من أجل الإفادة من ذلك الدور لمصلحة أمن واستقرار المنطقة العربية.

الدراسات السابقة

إن مراجعة الدراسات السابقة المرتبطة بالسياسة الخارجية الروسية تجاه القضية الفلسطينية تعكس أهمية هذه الدراسة التي تسعى إلى رصد الطبيعة المتغيّرة لتلك السياسة تجاه القضية. ويرجع ذلك بفعل تأثير العوامل المحلية والخارجية في السياسة الروسية مع إعطاء الأولوية للعوامل الخارجية. فقد رأى المحللون والباحثون الروس أن البيئة الدولية تُعَدّ عاملا رئيسا بشأن التأثير في السياسة الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط بما في ذلك القضية الفلسطينية. فالمستشرق الروسي اليكسي فاسلييف رأى في خروج القيادة السوفييتية من المستنقع الأفغاني سببا مهما في استعادة روسيا علاقاتها الطبيعية مع جميع دول العالم بما فيها طرفا النزاع في الشرق الأوسط. فبعد انتهاء حرب أفغانستان تخلَّت روسيا عن المواجهة الأيديولوجية مع الغرب بما في ذلك سياسة المحاور في النزاع العربي - الإسرائيلي. لذلك شاركت روسيا في مؤتمر مدريد للسلام حيث أرادت أن تلعب

دورا دوليا جديدا بوصفها صانعا للسلام الإقليمي والدولي (فاسلييف، 1997). وفي مرحلة لاحقة لاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، رأى يفجيني بريماكوف، رئيس وزراء روسيا الأسبق (1998-1999)، أن تلك التفجيرات دفعت نحو توحيد الموقف الروسي - الغربي إزاء ضرورة إنهاء النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي الذي أصبح مصدرا رئيسا للتطرف وعدم الاستقرار الإقليمي والعالمي (بريماكوف، 2004).تؤكد كذلك ليليا شيفتسوفا، أن هجمات الحادي عشر من سبتمبر أسهمت في التأثير المباشر في السياسة الروسية - الغربية. فقد تمكن الرئيس بوتين من التحول السريع باعتباره حليفا للغرب في حرب الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب (شيفتسوفا، 2006). يتفق كذلك الباحثون العرب على تلك المتغيرات الدولية التي أثرت في السياسة الروسية تجاه القضايا العربية. فقد أكد داود راجحة عمق العلاقات التاريخية التي تربط روسيا بكل من فلسطين وإسرائيل. وهي علاقات تعود منذ نشأة دولة الاحتلال في العام 1948 حيث سرعان ما اعترف الاتحاد السوفييتي بتلك الدولة. وقد شكلت التغيرات التي فرضتها الحرب الباردة والانحياز الإسرائيلي إلى المعسكر الغربي، نقطة التحول في السياسات السوفييتية التي تحولت إلى دعم الطرف الفلسطيني في العديد من المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعليمية. لذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حرصت روسيا على عودة وتعزيز علاقاتها مع كلا الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي (راجحة، 2012). ترى كذلك نورهان الشيخ أن روسيا -الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي - سعت إلى استكمال دورها باعتبارها راعيا لعملية السلام في المنطقة، وذلك من خلال استضافة الجولة الأولى من المفاوضات المتعددة الأطراف في يناير 1992 التي شكلت محطة رئيسة للوصول إلى توقيع اتفاقية أوسلو في 1993 ما بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (الشيخ، 1998). بيد أن في دراسة أخرى لنورهان الشيخ نُشرت في العام 2003 ترى تراجع أهمية الشرق الأوسط للسياسة الخارجية الروسية حيث حافظت روسيا على سياسة التوازن تجاه القضية الفلسطينية (الشيخ، 2003، ص ص 15-40). أما لمى مضر الأمارة فقد رأت أن السمة الرئيسة للدبلوماسية الروسية تجاه القضايا العربية تنطلق من عوامل براغماتية، بحيث تبتعد عن التوجهات الأيديولوجية التي كانت سمة رئيسة لسياسات الاتحاد السوفييتي السابق. وتنعكس تلك التوجهات على السياسة الروسية إزاء الصراع العربي – الإسرائيلي، حيث تسعى روسيا إلى تشجيع حل الصراع سلميا والدخول في العملية السياسية وتشجيع مباحثات السلام العربية – الإسرائيلية (الأمارة، 2009). لذلك يرى عناد كاظم حسين النائلي أن السياسة الروسية تجاه الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني تُبنى على أساس قيام دولة فلسطينية مستقلة وضرورة إيجاد حل للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي يمر عبر القرارات الأممية (242، 338، 1515)، ويؤكد أن الدور الروسي كان سلبيا في مرحلة معينة حيال المسائل المرتبطة بالقضية الفلسطينية. بيد أن روسيا عادت وانتهجت سياسة متوازنة تمثلت في دعم التوجه نحو حل الصراع العربي - الإسرائيلي سلميا. «ويتمثل ذلك الحل في تشجيع مفاوضات السلام العربية - الإسرائيلية والتسوية السياسية، وذلك حتى تتفادى حالة التوتر مع الولايات المتحدة الأميركية واحتمالات المجابهة العسكرية بين البلدان العربية وإسرائيل» (النائلي، 2017).

مصطلحات الدراسة

السياسة الخارجية: عرَّفها مارسيل ميرل أنها «ذلك الجزء من النشاط الحكومي الموجه نحو الخارج، أي الذي يعالج بنقيض السياسة الداخلية، مشاكل تطرح ما وراء الحدود» (توفيق، 2006، ص15).

الأمن القومي العربي: عرَّفت ورقة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية المقدمة لقمة بغداد (1990) الأمن القومي العربية بأنه «حماية مقومات الوجود العربي، وأهمها الأرض والهوية، وتطوير هذه المقومات، وصولا إلى تحقيق الأهداف القومية، وذلك في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية القائمة والمحتملة» (الصبان، 2020).

اللجنة الرباعية: هي لجنة دولية لدعم عملية السلام باعتبارها حلا للصراع العربي - الإسرائيلي، التي أُنشئت في مدريد بالعام 2002 وتتكون من الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والولايات المتحدة الأميركية (قضية فلسطين، الأمم المتحدة،موقع الأمم المتحدة).

https://www.un.org/unispal/ar/un-system/un-system-partners/the-quartet/

صفقة القرن: هي خطة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب لحل النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي التي أعلنها رسميا في يناير 2020 وتشمل إنشاء صندوق استثمار دولي لدعم الاقتصاد الفلسطيني والدول العربية المجاورة التي لاقت رفضا عربيا واسعا. وأبرز النقاط التسع التي شملتها تلك الخطة هي: تضم إسرائيل جميع المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية، وضع وادي الأردن تحت السيادة الإسرائيلية، القدس عاصمة لإسرائيل، السماح لجميع الديانات بالوصول إلى الأماكن المقدسة في القدس، على أن يبقى المسجد الأقصى تحت الوصاية الأردنية، حصر عاصمة فلسطين المستقبلية في المنطقة الواقعة إلى الشرق والشمال من الجدار المحيط بأجزاء من القدس، نزع سلاح حماس وأن تكون جميع المدن الفلسطينية منزوعة السلاح مستقبلا، الربط بالمواصلات ما بين الضفة الغربية وغزة، اعتراف الطرفين بالدولة الفلسطينية والدولة اليهودية الإسرائيلية، تتعهد إسرائيل بوقف بناء المستوطنات لمدة 4 سنوات (ماهر، 2020).

الإطار النظري

يرتبط الإطار النظري لهذه الدراسة بالأدبيات المتعلقة بمفهوم الاستمرار والتغيُّر في السياسة الخارجية التي ارتبطت بالتحولات المتلاحقة في النظام الدولي منذ منتصف الثمانينيات (بوشنافة، 2013). وعلى الرغم من أن ظاهرة التغيُّر في السياسة الخارجية قديمة فإن تأخر ظهورها في أدبيات العلاقات الدولية يرجع إلى أسباب عدة أهمها حداثة مجال العلاقات الدولية والسياسة الخارجية بصفة عامة، وفقدان النظريات التي تسعى إلى بناء نظريات كلية حيث ارتكزت المدرسة السلوكية ومنهج صناعة القرار على الظواهر الجزئية. بالإضافة إلى هيمنة مواضيع الأمن القومي الأميركي وكتابات التاريخ الدبلوماسي خلال الحرب الباردة التي ترى صعوبة دراسة ظاهرة التغيُّر في السياسة الخارجية (Gilpin,1981)).وجاءت كتابات روبيرت غيلبين وجيمس روزناو (1981) باعتبارها أولى الدراسات التي تناولت ظاهرة التغيُّر والتكيُّف في السياسة الخارجية. أما الدراسة المتعمقة حول ظاهرة التغيُّر فقد جاءت في كتاب هولستي (1982) الذي جاء بعنوان «لماذا تغير الدول من تحالفاتها: إعادة هيكلة السياسة الخارجية في عالم ما بعد الحرب الباردة». ومن ثم توالت كتابات كل من كجيل غولدمان (1988)، وشالز هيرمان (1990)، وروزيتي وهاغان وسامبسون (1994) (الشيخ، 2009، ص 45).وحول تعريف ظاهرة التغيُّر في السياسة الخارجية، انقسمت الأدبيات إلى ثلاث تسميات بما فيها التكيُّف السياسي، وإعادة الهيكلة، وإعادة التوجيه. ويعرف روزنو «التكيُّف السياسي» بأنه محاولة الدولة للتكيُّف مع تطورات البيئة الداخلية والخارجية؛ بحيث تُعَدّ السياسة الخارجية إحدى أدوات الدولة في ذلك التكيُّف (Rosenau, 1981)).ويعرِّف هيرمان «إعادة التوجيه» بأنها سعي الحكومة إلى تغيير اتجاه سياستها الخارجية بناء على عدد من العوامل الداخلية والخارجية (Herman,1990).أما مفهوم «إعادة الهيكلة» فقد طرحه هولستي، وفولجي وشوارز، وكل من روزتيني وهاغان وسامبسون. وقد عرَّف هولستي «إعادة الهيكلة» بأنها تعديل أو تغيير جذري للسياسة الخارجية يضطلع به صانع القرار مما يؤثر في طبيعة العلاقات الخارجية والدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية (Holsti, 1982) .ويرى فولجي وشوارز أن إعادة الهيكلة تقع ما بين التغيير التدريجي الذي يقع على فترة زمنية طويلة والتغيُّر الجذري الذي عادة ما يحدث خلال فترة قصيرة من الزمن (Volgy & Schwarz, 1991) .أما روزتيني وهاغان وسامبسون فيرون أن إعادة الهيكلة تعني تغييرا جذريا في السياسة الخارجية، بينما التغيير يشمل التعديل الجزئي على السياسة الخارجية. (Rosati, Hagan & Sampson (Eds.), 1994).وبذلك نستطيع أن نصل إلى حقيقة مفادها أن أنماط التغيير في السياسة الخارجية تكون إما تدريجية وإما جذرية (Holsti, 1982) وبشأن العوامل المؤثرة في تغيُّر السياسة الخارجية، فقد أجمعت أغلبية الآراء على أن هناك عوامل داخلية وأخرى خارجية التي تؤثر في تغيُّر أو استمرار السياسة الخارجية. بيد أن جميعها أعطت الأولوية للعامل الخارجي المتمثل في البيئة الدولية. فقد أكد روزنو أن صانع القرار يلجأ إلى التغيير في السياسة الخارجية نتيجة التغيرات الداخلية والخارجية التي تجعله بحاجة إلى التكيُّف مع تلك المستجدات (Rosenau, 1981) .أما هيرمان فقد ذكر أن أبرز تلك العوامل الداخلية والخارجية يتمثل في مبادرة القيادة، وتأييد الجهاز الحكومي، وإعادة الهيكلة الداخلية، والصدمات والمتغيرات الخارجية بيد أنه أكد أن البيئة الدولية تمثل أهم تلك العوامل(Herman, 1990) .كذلك الحال مع هولستي الذي أكد أن الطبيعة البنيوية للنظام الدولي تؤدي دورا رئيسا في تشكيل السياسة الخارجية للدولة. فالثنائية القطبية شكلت ضغوطا على الدول المتوسطة والصغيرة للاختيار ما بين إحدى الكتلتين الشرقية أو الغربية. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي شهد العالم ابتعادا عن سياسة المحاور مما أسهم في مزيد من الاستقلال السيادي (Holsti, 1983). وترى لورا نيك ان ابرز العوامل التي تؤثر في صنع السياسة الخارجية هي دور القيادة، والثقافة السياسية، و الصورة الوطنية، و فاعلية المجتمع المدني، بالإضافة الى تأثير وسائل الإعلام و الرأي العام (Neack, 2014) و يتفق هدسون و دي مع ذلك الرأي لاسيما فيما يتعلق بالسمات الشخصية لصانع القرار و دور الثقافة و السياسة البيروقراطية و ديناميكيات المجموعات الصغيرة و أثرها على السياسة الخارجية.(Hudson&Day, 2019) أما ديفيد سكيدمور، فقد قسَّم الدول إلى ثلاث مجموعات تتفاوت فيما بينها حول مستوى طبيعة التفاعل الحاصل ما بين التأثير الخارجي والقيود المحلية، وتتمثل في الآتي: المجموعة الأولى وهي الدول القوية أو الكبرى وهي الدول التي تحظى بمزيد من السيادة والرفاهية والأمن، كما أنها تملك مقاومة عوامل التأثير الخارجي في أرجاء التكيُّف، لكن كلفة رفض التكيُّف ستكون باهظة على قدرات الدولة في الهيمنة على المدى الطويل. وتُعَدّ جماعات المصالح من أكثر اللوبيات المستفيدة من الحفاظ على الوضع الراهن حتى لا تتأثر مصالحها. والمجموعة الثانية هي الدول المتوسطة التي يصعب عليها رفض التكيُّف بيد أن استجابة البنى المحلية للتكيف تظل بطيئة مما يدفع صُناع القرار إلى السعي نحو تحقيق أهداف التكيُّف السليم. أما المجموعة الثالثة فهي الدول الصغيرة التي تملك الدوافع نحو التكيُّف مع مستجدات البيئة الدولية، لكنها تفتقر إلى الموارد والقوة والوسائل التي تمكنها من إرجاء ذلك التكيُّف. وبذلك فإن أدوات التكيُّف تتمثل في قوة السلطة وابتعادها عن الوقوع تحت تأثير جماعات المصالح، بالإضافة إلى سلامة استراتيجيات التكيُّف والمقاومة (Skidmore, 1994)

فرضيات الدراسة

تقوم هذه الدراسة على عدد من الفرضيات بما فيها:

- تلعب البيئة الدولية دورا مهما في تغير واستمرار السياسة الخارجية للدولة.
- كلما زاد الانحياز الأميركي إلى إسرائيل في عملية السلام، أسهم ذلك في زيادة التقارب الروسي – الفلسطيني.

- تصاعد الدور الروسي في الأزمة السورية ونجاحه في الحفاظ على مؤسسات الدولة خلافا للدور الأميركي في العراق، أسهم في تعزيز مصلحة روسيا لدى دول منطقة الشرق الأوسط التي أصبحت ترى روسيا أنها حليف في الإمكان الوثوق به.

المنهاجية البحثية

تقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج البنيوي في تحليل أثر العوامل البنيوية في مراحل تطور السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية. فالعوامل البنيوية والمتمثلة بمتغيرات البيئة الإقليمية والدولية تلعب دورا مهما في تفسير ظاهرة الاستمرار والتغيُّر التي اتسمت بها السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية منذ النشأة وحتى الوقت الراهن؛ حيث تسعى روسيا في الوقت الراهن إلى أن تؤدي دورا فاعلا ضمن الرباعية الدولية للوصول إلى التسوية السياسية للقضية الفلسطينية. كما اعتمدت هذه الدراسة في جمع المادة العلمية على المصادر الثانوية كالكتب و الأبحاث و الدوريات، بالإضافة الى المصادر الأولية و المتمثلة بإجراء اللقاءات و المقابلات و النقاشات مع عدد من الأساتذة في فلسطين للوقوف على طبيعة الدور الروسي في تطورات القضية الفلسطينية.

مراحل تطور السياسة الروسية إزاء القضية الفلسطينية

أولا: ثبات الحكومة البلشفية من الانتفاضات العربية وثورة البروليتاريا اليهودية (1917-1947).

مثلت أولى مراحل العلاقة الروسية بكل من الفلسطينيين واليهود ضمن الإطار الأيديولوجي - الثوري للحكومة البلشفية الجديدة التي وصلت إلى السلطة في أعقاب ثورة أكتوبر 1917. كما صاحب ذلك البُعد الأيديولوجي التنافس الجيوسياسي ما بين روسيا البلشفية كقوة دولية صعدت من جديد ونافست القوى الدولية التقليدية الأوروبية التي تقاسمت المنطقة العربية وفق اتفاقية سايكس بيكو. فقد ساوت الحكومة البلشفية ما بين الثوار العرب الثائرين في فلسطين (1929 و 1936) واليهود المهاجرين «ثوار البروليتاريا» باعتبارهم حركات ثورية تقدمية. فالمسألة اليهودية المتمثلة في مستقبل اليهود احتلت إحدى أبرز القضايا الرئيسة في الفكر الاشتراكي. فقد وصف كارل ماركس اليهود بـ «الطبقة البرجوازية» حيث كانوا يشكلون أقلية ثرية في أوروبا الغربية لاسيما في ألمانيا والنمسا وفرنسا. بيد أن فلاديمير لينين كان على دراية بالوضع الاجتماعي المتواضع للأعداد الكبيرة لليهود في روسيا وأوروبا الشرقية. وخلال تلك الفترة انقسم اليهود إلى ثلاث فئات، الفئة الأولى التي ارتبطت بالصهيونية البرجوازية الداعية إلى عدم الاندماج في المجتمع الروسي تأهبا للهجرة إلى أرض الميعاد، والفئة الثانية أيدت الانغماس في المجتمعات التي تقطن فيها ولعبت دورا مهما في الثورة البلشفية من أمثال تروتسكي، والفئة الثالثة مثلتها حركة البوند التي بدأت ماركسية ثم استقلت باعتبارها حركة عمالية يهودية بعيدا عن الحركة العمالية الروسية حيث ركزت على استقطاب فقراء اليهود، وتشكيل البروليتاريا اليهودية ثم انتقلت للهجرة إلى فلسطين. وقد هاجم عزلتها لينين في البداية بيد أنه آمن فيما بعد بأن وجود البرجوازية والبروليتاريا اليهودية في فلسطين سوف يفضي إلى صراع طبقي يؤدي إلى قيام الثورة التي سوف تكون جزءا من الثورة البروليتارية العالمية (محمود، 2013، ص ص 13-68). فخلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، شكلت الأيديولوجية أساس العلاقة ما بين الحكومة الروسية الجديدة والعالم الخارجي. ولذلك أضمرت الأيديولوجية الماركسية العداء للحركة الصهيونية العالمية أنها حركة رجعية وقومية برجوازية أقرب إلى المعسكر الغربي، بينما أيدت ثورة البروليتاريا اليهودية والثورات العربية (1929 و 1936) كون جميعها تشكل حركات ثورية تقدمية (حمام، 2017)، ولم تخلُ تلك الحقبة من حالة التنافس ما بين روسيا الناشئة وبريطانيا وفرنسا على تقاسم ممتلكات الدولة العثمانية. لذلك فضحت روسيا اتفاقية سايكس بيكو التي كشفت من خلالها عن النوايا الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية. كما كانت تصارع في الوقت نفسه الدولة العثمانية من أجل الهيمنة على منطقة القوقاز. وكان ذلك حينما أقامت مؤتمر شعوب الشرق الشهير في باكو في العام 1920 لتحريض الشعوب على الثورة والتحرر من الاستعمار (العلاف، 2016)

ثانيا: التغيُّر في سياسة الاتحاد السوفييتي نحو دعم قيام دولة الاحتلال (1947-1948)

تمثلت المرحلة الثانية في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية بالتحول الجذري لمصلحة المشروع الصهيوني على حساب الطرف الفلسطيني، وذلك حينما وقف الاتحاد السوفييتي موقفا داعما لقيام إسرائيل. وقد شكلت البيئة الدولية عاملا حاسما في ذلك الموقف الذي تزامن مع حالة الاستقطاب التي انطلقت مع البدايات الأولى للتنافس الأميركي - السوفييتي على المسرح الدولي. كما تقع فكرة إقامة وطن قومي لليهود في صميم العلاقة الروسية - اليهودية. فلطالما تطلع اليهود إلى إقامة دولتهم في روسيا نظرا إلى كبر المساحة الجغرافية، بالإضافة إلى التعددية العرقية والإثنية والدينية لقاطني تلك الدولة بما في ذلك العدد الكبير لليهود الروس. فعلى إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، غيَّر الاتحاد السوفييتي موقفه إزاء الصهيونية لأسباب أيديولوجية وسياسية ومالية. فعلى الصعيد الأيديولوجي نجحت الصهيونية الاشتراكية في استمالة الاتحاد السوفييتي عبر تطبيقها النظام الاشتراكي في المزارع الجماعية في فلسطين. كما لعبت دورا مهما في محاربة النازية مما كان له الأثر في فوز الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. أما الأسباب السياسية، فقد فضّلت روسيا أن ترى الصهيونية الاشتراكية بديلا من الوجود البريطاني في فلسطين. وعلى إثر ذلك وقف مندوب الاتحاد السوفييتي أندريه جروميكو في الأمم المتحدة في 14 مايو 1947 مؤيدا لقرار التقسيم ومدافعا عن حق اليهود في قيام دولة يهودية في الأراضي الفلسطينية. وفي 26 ديسمبر 1947 وقبل صدر قرار التقسيم الأممي أعاد ذلك المندوب دفاعه عن إقامة وطن لليهود الذين يعيشون في معسكرات

الدول الأوروبية (محمود، 2013، ص 82-89) .كما وقف الاتحاد السوفييتي إلى جانب الإسرائيليين ضد العرب في حرب 1948 لاسيما من خلال الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري. وسارع بالاعتراف بإسرائيل بعد أن أعلن قيامها ديفيد بن غوريون. وصوَّت الاتحاد السوفييتي كذلك ضد القرار 194 للجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن حق العودة للاجئين الفلسطينيين. كما أيد طلب إسرائيل في الانضمام إلى الأمم المتحدة على الرغم من احتلالها الأراضي الفلسطينية مخالفة بذلك قرار التقسيم. تجاهل الاتحاد السوفييتي كذلك المجازر الإسرائيلية التي تجاوزت 110 مجازر أُرتكبت خلال تلك الفترة، بما فيها مجزرة دير ياسين في أبريل 1948. ولم يرفض قرار إسرائيل الخاص بتهجير أكثر من 800 ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم. وجاء الدعم الأكبر من خلال تزويد إسرائيل بالعتاد وهجرة اليهود الشباب من أوروبا الشرقية الذين اكتسبوا خبرة قتالية مهمة خلال مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية التي حسمت حرب 1948 لمصلحة إسرائيل. فخلال الفترة ما بين يناير إلى مايو 1948، وقع إيهود أفرنئيل مندوب الهاغاناه خمس صفقات سلاح مع تشيكوسلوفاكيا بقيمة 12 مليونا و 200 ألف دولار. وقد حسمت تلك الأسلحة الانتصار الإسرائيلي في معركة القسطل التي استشهد فيها عبدالقادر الحسيني. كما استُخدمت تلك الأسلحة في تنفيذ عمليتي «نحشون» للوصول إلى القدس الغربية المحاصرة، وخطة «دالت» الكبرى التي حققت الهيمنة على المدن والقرى الفلسطينية. وعلى الرغم من حظر الأمم المتحدة لبيع الأسلحة لأطراف الحرب، فإن تشيكوسلوفاكيا خصصت مطار جاتس لتصدير السلاح إلى إسرائيل. كما تابعت تدريب الطيارين اليهود وغير اليهود المتطوعين للقتال في فلسطين وأشهرهم عازر وإيزمان الذي أصبح فيما بعد قائدا لسلاح الجو الإسرائيلي (حارب، 2016).كما أن هناك من يرى أن هناك أسبابا مالية تقف خلف الانقلاب الجذري في موقف الاتحاد السوفييتي لمصلحة دولة الكيان. فقد آمن جوزيف ستالين بضرورة قيام إسرائيل ودعمها بالمال والسلاح والسكان؛ لتكون أول دولة اشتراكية شرق أوسطية وحتى تكون بديلا من الوطن الموعود في شبه جزيرة القرم. التي كانت جمهورية ذات حكم ذاتي رهن بمقتضاها ستالين الجزيرة حتى يتمكن من دفع ديون لليهود بقيمة 20 مليون دولار مستحقة على نظامه الجديد (عمارة، 2021).

ثالثا: التغير السوفييتي في التقارب مع العرب والانقلاب على إسرائيل (1952-1985)

شهدت المرحلة الثالثة في السياسة الروسية مع طرفي النزاع الفلسطيني والإسرائيلي تحولا جذريا جديدا وكان هذه المرة لمصلحة الطرف الفلسطيني. وهذا التحول الجذري فرضته كذلك البيئة الدولية التي أصبحت أكثر وضوحا في ظل الثنائية القطبية التي انحازت خلالها إسرائيل إلى المعسكر الغربي، مما دفع الاتحاد السوفييتي إلى مناصرة القضية الفلسطينية. فعلى إثر الانحياز الإسرائيلي للكتلة الغربية، هاجم الاتحاد السوفييتي الصهيونية باعتبارها عدوا أيديولوجيا مخافة حدوث انشقاقات في القيادة الشيوعية التي كانت تواجه معارضة ناشئة تقودها أغلبية عظمى من اليهود الروس. وترتب عنها إغلاق المنظمات اليهودية ووضع المعابد تحت المراقبة ومُورست العنصرية ضد اليهود في العمل والتعليم. واتُهم اليهود بمحاولة اغتيال جوزيف ستالين التي عرفت بـ «مؤامرة الأطباء» حيث انتهت عند الإعلان عن وفاته في 5 مارس 1953. كما تمت إعادة تعريف الصهيونية بأنها «الشوفينية المتشددة والعنصرية ومعاداة الشيوعية والسوفييت» (Primakov, 2009).تزامنت تلك الأحداث مع قدوم الضباط الأحرار إلى السلطة إثر ثورة 23 يوليو 1952، وشكلت بداية العام 1953 التغير في العلاقة السوفييتية -الإسرائيلية. ففي يناير 1953، بعث ديفيد بن غوريون رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق برسالة لحكومته ينتقد فيها حكم السوفييت بقوله: «إنه حظيرة للعبيد، إنه نظام قائم على القتل، والكذب، وخنق الروح البشرية، وسلب حريات العمال والفلاحين، إنه استمرار أكثر صرامة وتطرفا من القيصرية الإمبريالية». (عمارة، 2021) وفي 12 فبراير 1953 فُجِّرت قنبلة في السفارة السوفييتية في تل أبيب أدت إلى تفجير المبنى وإصابة ثلاثة أشخاص. وعلى إثرها أوقفت العلاقات السوفييتية - الإسرائيلية مؤقتا لمدة 6 أشهر. وبعد عودة تلك العلاقات في ديسمبر 1953 كان الاتحاد السوفييتي أول دولة قدم مبعوثها أوراق اعتماده إلى رئيس إسرائيل في القدس، ما دفع دولا أخرى لتسلك ذلك المنحى. وقد سارعت الدول العربية إلى الاحتجاج على ذلك السلوك واعتباره انتهاكا لقرارات الأمم المتحدة (Khouri,1985).بيد أنه في العام 1954، عاد الاتحاد السوفييتي إلى موقفه المعادي لدولة الإحتلال وذلك حينما استخدم حق الفيتو في مجلس الأمن ضد قرارات لمصلحة إسرائيل الأول كان متعلقا بنزاع حول المياه بين سورية وإسرائيل والثاني كان ضد مصر لعدم امتثالها لتطبيق قرار مجلس الأمن رقم 95 الداعي إلى إنهاء القيود المصرية على البضائع التجارية عبر قناة السويس. وفي العام 1955 تلقى الرئيس المصري جمال عبدالناصر أول شحنة أسلحة سوفييتية وتشيكية. وخلال العدوان الثلاثي ضد مصر في العام 1956، وجَّه الروس إنذارا لإسرائيل والغرب بلجوئهم إلى استخدام المنظومة الصاروخية لإيقاف ذلك الاعتداء (عمارة، 2021) .شاركت موسكو مع العرب في حرب 1967 مخلفة 35 قتيلا حيث اعتبرتها عدوانا غادرا ضد الجوار العربي (ترينين، 2018).وفي أعقاب تلك الحرب، شن الاتحاد السوفييتي حملة دعائية ضد الصهيونية حيث تم الترويج لعدد من الكتابات الشهيرة بما فيها كتاب «اليهودية بدون زخرفة» لتروفيم كيتشكو، وكتاب «احذروا الصهيونية» ليوري إيفانوف، وجميعها تتحدث عن المؤامرة اليهودية وبروتوكولات حكماء صهيون لحكم العالم. وفي العام 1970، اعترف الاتحاد السوفييتي بالتمثيل الدبلوماسي للمنظمة الفلسطينية وتبادل كلا الطرفين فتح السفارات. ودعم السوفييت قرار 2326 (للعام 1974) الصادر عن الجمعية العامة والخاص بتسوية أزمة الشرق الأوسط ودعم حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره (سرور، 2018). ومع قدوم الرئيس المصري أنور السادات إلى سدة الحكم في العام 1970، كانت العلاقات المصرية - السوفييتية قد توطدت إلى حد كبير. فقد حصل الاتحاد السوفييتي على الحق باستخدام المطارات وعدة موانئ مصرية بما في ذلك الإبقاء على حامية متوسطية دائمة. كما نشر

فرقة دفاع جوي كاملة كجزء من عملية القوقاز في منطقة السويس (زهران، 2021).وفي العام 1971 وقِّعت معاهدة الصداقة والتعاون ما بين كلا البلدين. وبعد مرور عام واحد على تلك الاتفاقية، ألغى الرئيس السادات تلك الاتفاقية، وطرد الخبراء العسكريين السوفييت، وأنهى الحقوق السوفييتية في استخدام المطارات والموانئ. وخلال حرب 1973، وعلى الرغم من عدم استشارة السوفييت في تلك الحرب، فإن الاتحاد السوفييتي قدم كامل الدعم العسكري للعرب وزادت العلاقات السوفييتية - الأميركية توترا. وقد كان ذلك سببا لانطلاقة زيارات كيسنجر المكوكية التي بدأت منذ العام 1973 الهادفة إلى إحلال السلام التي انتهت في العام 1978 بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد (ترينين، 2018).

رابعا: التغيُّر الروسي في الخروج من سياسة المحاور إلى الوساطة الدولية (1985-2000)

خاضت السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية تغيرا جذريا جديدا حيث جاء ضمن التحولات الكبرى التي شهدتها البيئة الدولية ما بعد الحرب الباردة. فقد سبب انهيار الاتحاد السوفييتي انتقال البيئة الدولية من الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية مصحوبة بحالة من الاضطرابات والتوترات الدولية والإقليمية. وقد فرضت تلك التحولات على روسيا الاتحادية - الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي - الانتقال من سياسة المحاور تجاه القضية الفلسطينية إلى لعب دور الحياد والوساطة الدولية(حمام، 2017) .فقد سعى ميخائيل جورباتشوف السكرتير السابع للحزب الشيوعي إلى تبني الإصلاح الاقتصادي والسياسي للخروج من الأزمة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي آنذاك. واقتضى ذلك التقرب إلى الغرب للحصول على التكنولوجيا والمساعدات الغربية. وانعكس ذلك على سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه القضية الفلسطينية حيث حاول إقامة علاقة متوازنة مع طرفي النزاع الفلسطيني والإسرائيلي. ولذلك تم تخفيف قيود هجرة اليهود الروس إلى فلسطين، وإعادة الجنسية الروسية ممن أُسقطت عنهم في السابق، وعودة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل (دلول، 2017) .في الوقت نفسه، سعى الروس كذلك إلى الإعلان في العام 1988 عن فتح سفارة فلسطين في موسكو. وفي العام 1995 باشرت الممثلية الروسية الاتحادية عملها لدى السلطة الفلسطينية. و قد بلغ عدد المهاجرين السوفييت بعد انهيار الإتحاد السوفييتي ما يقارب 1.6 مليون مهاجر ذهب 61% منهم الى اسرائيل، بينما اتجه الباقين الى كل من المانيا و الولايات المتحدة الأمريكية (Al-Haj, 2020, P87).

ومن الجدير بالذكر أنه خلال تلك الفترة وحتى قدوم بوريس يلتسن كأول رئيس لروسيا الفيدرالية (1991-2009) تعاظم النفوذ اليهودي في مواقع صنع القرار في موسكو، ولعب الحاخام اليهودي الروسي الأكبر أدولف شايفتشسكي دورا مهما في دعم اللوبي الصهيوني في روسيا على حساب العلاقات الروسية - العربية. وهيمن على الاقتصاد الروسي خلال تلك الفترة تسعة أشخاص أغلبهم من اليهود الروس، وهم فلاديمير جوسينسكي وهو رئيس مؤتمر المنظمات اليهودية في روسيا ويملك أكبر الشركات الإعلامية الخاصة وأهمها القناة التلفزيونية (أن تي في). وبوريس بيريزوفسكي صاحب مؤسسات إعلامية وصناعية ومالية. بالإضافة إلى كل من مايكل فريدمان، ميخائيل خودوركوفسكي، فلاديمير بوتانين، ألكساندر سمولنسكي، بايوتر أفين، فلاديمير فينوجراد، فيتالي مالكن (Parfitt, 2008) .وتمكنت تلك المجموعة من تملك ما بين 50 إلى 70% من الاقتصاد الروسي حيث ضمت جميع القطاعات الاقتصادية بما فيها الخدمات والبنوك والمصارف والإعلام والإنتاج، ومصادر الطاقة، والسيارات والطيران المدني والسماد الزراعي والأخشاب. كما برز اليهود في المناصب وقيادة الأحزاب السياسية ومنهم إيغور جيدار أول قائم بأعمال الحكومة الروسية، والمفكر أناتولي تشوبايس رئيس الحزب الديموقراطي «يابلوكا»، حيث قاد كلاهما عملية الخصخصة الذي كان على اتصال مع جفري ساكس أستاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد وصاحب نظرية العلاج بالصدمة للتحول إلى اقتصاديات السوق (Saks, 1999).وبناء على ذلك رعى الاتحاد السوفييتي إلى جانب الولايات المتحدة الأميركية مؤتمر مدريد للسلام في 1991. وفي العام الذي يليه استضافت موسكو اجتماعات اللجان المنبثقة عن مؤتمر مدريد للسلام (محمد، 2011). واستمرت روسيا في تبني موقف الحياد ومواجهة التفرد الأميركي بالتسوية السياسية للقضية الفلسطينية (بورشفسكايا، 2016).

خامسا: التغيُّر الروسي في سياسة بوتين ما بين الوساطة والمساومة (2000-2011)

مع قدوم الرئيس فلاديمير بوتين للسلطة، شهدت السياسة الخارجية الروسية بصفة عامة تغيرا جذريا تدريجيا الذي تمثل في الانتقال من الاتجاه الأطلنطي الذي ساد حقبة الرئيس الأسبق بوريس يلتسن إلى الاتجاه الأوراسي. وبذلك فقد شكل ذلك التوجه الأوراسي طبيعة المرحلة الخامسة في السياسة الروسية تجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي حيث شمل ذلك التوجه الجديد الاهتمام بجميع القضايا العربية بما فيها القضية الفلسطينية. وتمثلت أبرز التطورات في تعزيز الوساطة الروسية تجاه القضية الفلسطينية خلال تلك الفترة فيما يلي:

1- تأييد قرار مجلس الأمن الرقم (1397) لعام 2002 الذي أكد على حل الدولتين اللتين تعيشان معا وفق حدود آمنة ومعترف بها دوليا. وعضوية روسيا في اللجنة الرباعية التي تشكلت في العام 2002 بعضوية كل من روسيا والولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة(سرور، 2018)

2- عينت روسيا مبعوثا خاصا لدعم عملية السلام في الشرق الأوسط.

3- صعود الدبلوماسية الروسية النشطة من خلال تبادل الزيارات ما بين روسيا وفلسطين، وأهمها الزيارات الثلاث لرام الله من قبل القادة الروس ومنها زيارة الرئيس فلاديمير بوتين في عامي 2005، و2012، وزيارة ديمتري ميدفيديف في 2016.

4- عارضت روسيا الموقف الأميركي في استبعاد الرئيس الفلسطيني الأسبق ياسر عرفات من المفاوضات بيد أن ذلك الموقف لم يكن له تأثير كبير في فك الحصار عن عرفات.

5- وفق بيان صادر عن فتح وحماس، تُعَدّ روسيا إحدى الدول الأربع الراعية للمصالحة الفلسطينية إلى جانب مصر وقطر وتركيا. وحينما تعذرت إقامة لقاء الفصائل الفلسطينية في مصر، وقبل أن ينظم في بيروت، اقترحت روسيا احتضان ذلك اللقاء. وقد لعبت روسيا دورا مهما في بناء الثقة ما بين فتح و حماس (المصري، 2021).

6- ترفض روسيا التصنيف الإسرائيلي والغربي لحماس بوصفها منظمة إرهابية. لذلك في العام 2006، زار موسكو وفد برئاسة خالد مشعل رئيس المكتب السياسي في حماس بدعوة من الرئيس بوتين والتقى خلالها برئيس الوزراء ميدفيديف، وتكرر لقاء ميدفيديف وهو رئيس حينما كان في دمشق في العام 2010. وبعد تولي إسماعيل هنية رئاسة الحركة، التقى بوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في مارس 2020 ومبعوث الرئيس الروسي للسلام ميخائيل بوغدانوف (أبوعامر، 2021).

7- ما يميز الدور الروسي تجاه القضية الفلسطينية أنه يأتي بدعم من الطرف الفلسطيني لإدخال التوازن في حل ذلك الصراع والوصول إلى حلول عادلة. فعلى سبيل المثال، صرح ناصر القدوة وزير الخارجية الفلسطيني الأسبق (2005-2006) «إن السلطة الفلسطينية تدعو موسكو ولجنة الوساطة الرباعية إلى تأدية دور فعال في المرحلة المقبلة لتنفيذ خطة خارطة الطريق وإكمال انسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها في العام 1967»(النائلي، 2017، ص 276).

8- كان تصاعد الموقف الروسي في تأييد الطرف الفلسطيني محل انتقاد من قبل إسرائيل لاسيما بعد استقبال موسكو لوفد حماس في العام 2006. وقبله بسنه إعلان بوتين تقديم المساعدة العسكرية للسلطة الفلسطينية. وجاء إعلان بوتين لتلك المساعدة من أجل تعويض السلطة الفلسطينية عما خسرته من أسلحة ضرورية للحفاظ على الأمن من خلال تزويدها بمروحتين وخمسين ناقلة جنود لم تعد صالحة لاستخدام الجيش الروسي، حيث كان ذلك محل استهجان لوزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك شاؤول موفاز(النائلي، 2017، ص 276).على الرغم من تصاعد ذلك الدور الروسي تجاه القضية الفلسطينية فإنه لم يكن خارج إطار التوافق الروسي – الأميركي؛ حيث استفادت روسيا من تلك الوساطة الدولية للمساومة على قضايا أكثر أهمية في سلم الأولويات الروسية(المصري، 2021). وتتمثل تلك الأولويات في العديد من الملفات ومنها:

أ- حرصت روسيا على علاقة توازن كذلك مع إسرائيل وذلك بفعل تأثير الإثنية الروسية في إسرائيل ورغبة روسيا في تعزيز العلاقات التجارية والتقنية لاسيما في مجال النانو مع إسرائيل. وقد بلغ نمو تلك التجارة بين البلدين آنذاك إلى ما يقارب المليار دولار في العام 2005 وتضاعف حتى بلغ 3.5 مليارات دولار في 2014 (العربي، 2008). في الوقت نفسه، تقدم روسيا لفلسطين دعما سنويا يبلغ 10 مليون دلاور لاسيما في المجالات الفنية و بعض القضايا العسكرية. و في عام 2012، تم افتتاح المركز الروسي في رام الله و الذي يقدم 200 منحة دراسية سنوية للطلاب الفلسطينيين (عودة، 2021).

ب- انشغلت روسيا آنذاك في ترتيب البيت الروسي من الداخل الذي تطلب إنهاء هيمنة الأوليجاركية على الاقتصاد الروسي، حيث يشكل اليهود الروس الأغلبية العظمى منهم. وبذلك تطلبت تصفية اللوبي اليهودي الاقتصادي لاسيما المهيمن على قطاعي الغاز والبترول اتباع سياسة معتدلة مع إسرائيل حتى لا تتفاقم إشكالية العلاقة مع اليهود في الداخل الروسي. ثالثا: كانت أبرز القضايا التي تولى معالجتها بوتين عند وصوله إلى السلطة هو إنهاء حرب الشيشان الثانية. ولذلك استغل الحرب الأميركية على الإرهاب في إعلان تحالف روسيا مع تلك الجهود الغربية من أجل الحصول على الغطاء الدولي لتصفية القضية الشيشانية. وحظيت تلك الحملة الروسية بمباركة إسرائيلية حيث أطلق أريل شارون على الرئيس بوتين أنه «الصديق الفعلي لإسرائيل». بيد أن تلك العلاقات شابتها بعض التوترات على خلفية استقبال روسيا لوفد حماس في العام 2006 (حمام، 2017).

سادسا: استمرار الصعود الروسي تزامنا مع ثورات الربيع العربي وأولوية الملف السوري (2011-2015)

شكّل العامل الإقليمي المتمثل في ثورات الربيع العربي وتصاعد الأخطار الأمنية على الحدود الروسية - العربية طبيعة السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط خلال تلك الفترة. لم ترحب روسيا بأحداث الربيع العربي التي تُعَدّ امتدادا للثورات الملونة التي وقعت في عدد من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق وأهمها أوكرانيا وجورجيا وقيرغيزستان. فقد رأت روسيا أن القوى الغربية تقف خلف تلك الثورات المطالبة بالتحولات الديموقراطية. ولهذا سعت روسيا إلى دعم استقرار الدول العربية لاسيما النظام السوري الحليف التاريخي لروسيا الاتحادية. وبذلك فإن المرحلة السادسة لتلك السياسة الروسية هي استمرار صعود الدور الروسي الذي بدأه الرئيس بوتين منذ قدومه إلى السلطة في العام 2000. وخلال الفترة ما بين 2011 وحتى العام 2015، لعبت روسيا دورا دبلوماسيا مهما في دعم النظام السوري. فقد مارست حق النقض ضد جميع القرارات الدولية في مجلس الأمن التي طالبت باستقالة الرئيس السوري بشار الأسد أو وضعه تحت نظام العقوبات الدولية. كما رفضت المطالبات الساعية إلى إقصائه من التسوية السياسية. (Russian Vetoes are putting UN security council's legitimacy at risk, says US. The Guardian. 23 September 2015)

وتتمثل المصالح الروسية في سورية في عديد من الجوانب ومنها: تاريخية العلاقة الإستراتيجية لروسيا منذ قيام الاتحاد السوفييتي وحتى الآن مع النظام السوري وما يتضمن ذلك من تعاون وثيق في كل المجالات العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية والثقافية. كما تحرص روسيا على الدفاع عن المنشأة العسكرية الروسية الوحيدة لها في شرق المتوسط التي تقع على الحافة الشمالية للميناء البحري لمدينة طرطوس السوري، بالإضافة إلى وقوع سورية في قلب المشروع الأوراسي الذي تسعى روسيا إلى إعادة الهيمنة عليه ومحاربة الحركات المتطرفة التي تشكل تهديدا للمصالح الروسية في تلك المناطق الحدودية (Kramer,2021) .وعلى الرغم من تصدر أولوية الملف السوري على جميع قضايا المنطقة بالنسبة إلى السياسة الروسية بما في ذلك القضية الفلسطينية، فإن ذلك أسهم في تعزيز الدور المستقبلي لروسيا في المنطقة حيث سيظهر ذلك جليا في المرحلة القادمة من تطور العلاقات الروسية إزاء القضية الفلسطينية. فقد ظهرت روسيا بوصفها فاعلا رئيسا في الأمن الإقليمي وحليفا في الإمكان الوثوق به خلال الأزمات. وقد تابعت روسيا دورها باعتبارها وسيطا لطرفي النزاع الفلسطيني والإسرائيلي. ففي فبراير 2010، احتضنت روسيا لقاء جديدا لعدد من الفصائل الفلسطينية بما فيها حركة حماس وفتح والجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية، وذلك لمناقشة المصالحة الفلسطينية. ويأتي الحرص الروسي على إشراك الفصائل الإسلامية وذلك لأهميتها في المصالحة الفلسطينية والتسوية السياسية للقضية الفلسطينية. فقد طلبت روسيا من حماس علانية ضرورة الاعتراف بإسرائيل الذي تراه أحد الشروط الأساسية لحل النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي. كما تستفيد روسيا من حماس لارتباطها بالجهاديين الروس والشيشانيين التي تعد من أولويات الأمن القومي الروسي (الرجوب، 2011).وعلى صعيد العلاقة الروسية - الإسرائيلية، فقد أعلن الرئيس الروسي بوتين صراحة أن روسيا تؤمن بأن القدس الغربية عاصمة إسرائيل بينما القدس الشرقية هي عاصمة لدولة فلسطين المستقبلية (أباي، 2017).وصعود ذلك الموقف الروسي يفسر أيضا سعي إسرائيل إلى تعزيز علاقتها مع روسيا في جميع المجالات الأمنية والاقتصادية والدبلوماسية خلال تلك الفترة. لذلك قابل شيمعون بيريز بوتين في نوفمبر 2012 لدعم جولات جديدة لجهود السلام في الشرق الأوسط. والتقى كذلك في العام نفسه وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية في القاهرة وعمان، بالإضافة إلى لقائه بقية الفصائل الفلسطينية من أجل إحياء عملية السلام. وفي العام 2013 أجريت انتخابات برلمانية جديدة على إثر سحب نتنياهو الثقة من الكنيست في العام 2012 حيث أسفرت عن فوز حكومة ائتلاف من أحزاب قومية ودينية متشددة. وعلى الرغم من ذلك، فإن نتنياهو زار موسكو مرتين في مايو ونوفمبر في العام 2013 وذلك للحديث حول الدور الروسي في سورية وتطورات الوضع السوري (مصطفى، 2017).

سابعا: رفض صفقة القرن واستمرار الصعود الروسي في الشراكة الدولية (2015 -2021)

كان الدخول العسكري الروسي في سورية في العام 2015، إيذانا بوصول روسيا إلى مرحلة الشراكة الدولية لاسيما في الإدارة الأمنية والإستراتيجية لمنطقة الشرق الأوسط (زهران، 2021).فمنذ العام 2015 وحتى الآن، بلغت السياسة الروسية مرحلة الشراكة الدولية في عديد من الملفات الشرق أوسطية وأهمها القضية الفلسطينية حيث أسهم في ذلك عدد من التغيرات الدولية والإقليمية أهمها:

1- جاء إعلان قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام بمنزلة جرس إنذار لروسيا باعتبارها دولة جوار، وكذلك للغرب والولايات المتحدة الأميركية التي شنت أطول حرب معاصرة في أفغانستان تحت شعار مكافحة الإرهاب. وبذلك فقد تمثل صعود داعش كأحد أهم المتغيرات الدولية التي أسهمت في ترحيب الغرب لدور روسي فاعل من أجل إيقاف تمدد تلك الحركات الجهادية والمتطرفة. فمنذ انطلاقة الثورات العربية في العام 2011، أخذت الإدارة الأميركية الديموقراطية بقيادة الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما موقع المتفرج والمشجع على سقوط الأنظمة العربية واحدا تلو الآخر بما فيها النظام السوري، بيد أن إعلان قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام في العام 2014 أحدث ما أطلق عليه زبغنيو بريجينسكي - مستشار الأمن القومي الأميركي السابق - الجرأة الإستراتيجية strategic Boldness التي تعني قبول الولايات المتحدة الأميركية بروسيا بوصفها شريكا في إدارة النزاعات في الشرق الأوسط (Brzezinski. 2015))

2- شكلت سياسات الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما الهادفة إلى الانسحاب التدريجي من الشرق الأوسط أحد أهم متغيرات البيئة الدولية التي عززت من الدور الروسي في المنطقة. فقد جاء الدور الروسي متوافقا مع توجهات الإدارة الديموقراطية الجديدة التي ورثت تركة ثقيلة من سوء الإدارة الجمهورية السابقة المتمثلة بحربين كبيرتين في أفغانستان والعراق وأزمات مالية. ولذلك أعلنت الإدارة الأميركية آنذاك الانسحاب من العراق وأفغانستان واحتواء إيران من خلال توقيع الاتفاق النووي، وإعادة تموضع القوات الأميركية لمواجهة التمدد الصيني والنهوض بالاقتصاد الأميركي. ولذلك أطلق الرئيس الأميركي باراك أوباما سياسة القيادة من الخلف التي تتضمن إشراك قوى دولية في تحمل الأعباء والاكتفاء بإعطاء التوجهات والإدارة من الخارج للأزمات من دون الولوج الفعلي بها.

3- شكلت السياسة الخارجية للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب كذلك متغيرا دوليا جديدا داعما للصعود الروسي في المسرح الدولي. فقد سعى الرئيس ترامب إلى إعادة تعزيز العلاقات الأميركية -الروسية التي كان يشوبها بعض التوتر على خلفية التدخل الروسي في جزيرة القرم التي ترتبت عليها عقوبات أميركية هاجمتها روسيا باعتبارها تدخلا في شؤونها الداخلية. وخلال حملته الانتخابية، تبادل الرئيس ترامب الاتهامات مع منافسته حول الدور الروسي في القرصنة الإلكترونية بما فيها التدخل في سير الانتخابات الأميركية الرئاسية التي أفضت إلى إسقاط مرشحة

الحزب الديموقراطي هيلاري كلينتون لمصلحة الرئيس السابق دونالد ترامب. وخلال تلك الانتخابات، هاجم ترامب منافسته بأنها كانت سببا رئيسا لتأسيس الجماعات المتطرفة وأهمها داعش بوصفها ميليشيات عسكرية لتحقيق الأهداف الأميركية في العراق وسورية. ويُعَدّ ذلك التحول في الخطاب الأميركي إزاء الاعتراف بتمويل الجماعات المتطرفة تحولا ونصرا للموقف الروسي الذي كان هدفا رئيسا للحركات الجهادية منذ الحرب الأفغانية السوفييتية.

4- توج الصعود الروسي تجاه القضية الفلسطينية برفض المبادرة الأميركية للسلام التي عرفت بـ «صفقة القرن». ففي 6 ديسمبر 2017، أعلن الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب رسميا بأن القدس عاصمة لإسرائيل. وفي 14 مايو 2018، افتتحت السفارة الأميركية رسميا في القدس بالتزامن مع الذكرى السبعين لما تُعَدّه إسرائيل ذكرى الاستقلال عن سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين.

5- شكل موقف السلطة الفلسطينية عاملا إقليميا مهما في دعم الدور الروسي. فعلى إثر الاعتراف الأميركي الأحادي بالقدس عاصمة لإسرائيل، هددت السلطة الفلسطينية بقطع اتصالاتها لاسيما الأمنية مع إسرائيل والجانب الأميركي(فهمي، ليسينج، 2020) .كما كثَّفت السلطة والفصائل الفلسطينية من زياراتها المنتظمة إلى موسكو في إشارة إلى أهمية كسر الاحتكار الأميركي لعملية السلام. فخلال الأعوام ما بين عامي 2014 و2020، زار الرئيس محمود عباس موسكو ثماني مرات والتقى بالرئيس بوتين الذي بدوره زار السلطة الفلسطينية في عامي 2012 و2020، بالإضافة إلى الزيارات المتعددة لوزير الخارجية الروسي لافروف ورئيس الوزراء ميدفيديف إلى فلسطين في العام 2016. وعلى إثر تلك الزيارات، وقع كلا الطرفين عديدا من اتفاقيات التعاون لاسيما في المجال الاقتصادي. و يرى رمزي عودة، مدير وحدة الأبحاث في معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي في الضفة الغربية بأن القيادة الفلسطينية تحرص على تعزيز العلاقات مع روسيا كقوة دولية و عضو في مجلس الأمن لاسيما ان روسيا تدعم القرارات الأممية و حل الدولتين و القدس الشرقية عاصمة لفلسطين و ذلك يؤكد ضرورة الإستثمار العربي والفلسطيني في الدور الروسي حتى يصل العرب الى مرحلة الشراكة الإستراتيجية (عودة، 2021). و يرى علاء حمودة، استاذ العلوم السياسية في قطاع غزة، ان اشد ما يقلق الروس هو الخلاف الفلسطينية الداخلي لاسيما في حركة فتح و الذي تفجر على اثر فصل محمد دحلان من اللجنة المركزية. و سيكون ذلك محورا رئيسيا للنقاش خلال زيارة رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس في نوفمبر 2021. فروسيا تأمل ان تتمكن حركة فتح من الحفاظ على تماسكها لاسيما في مؤتمر الثامن القادم في مارس 2022. و سوف يترتب على ذلك ايضا تحقيق الوحدة الوطنية التي تُعَدّ شرطا رئيسيا لقعد المؤتمر الدولي للجنة الرباعية و الذي سبق ان طالب به الجانب الفلسطيني و تم تبنيه من الجانب الروسي(حمودة، 2021).

ومع قدوم الإدارة الأميركية الديموقراطية الجديدة بقيادة الرئيس جو بايدن التي لم تضع القضية الفلسطينية ضمن أولوياتها في المنطقة حيث وجهت جل الاهتمام إلى الملف الإيراني النووي والتنافس الصيني - الأميركي، سعى نتنياهو إلى استكمال تنفيذ مخطط تهويد القدس مدفوعا بأجندات الأحزاب اليمينية والدينية المتطرفة. وقد اختار لإشعال شرارة تلك الأحداث التصادم مع مئات الفلسطينيين المعتكفين في المسجد الأقصى في العشر الأواخر من شهر رمضان لمنع المستوطنين من الدخول إليه لإحياء ما يعرف بذكرى «يوم توحيد القدس» وهو احتلال إسرائيل للقدس الشرقية في 1967، التي تزامنت مع الخطط الإسرائيلية لطرد عائلات فلسطينية من حي الشيخ جراح في القدس التي اعتبرت بمثابة جرائم تهجير وتطهير ديني وعرقي. وقد أفضت تلك الأحداث إلى هجوم متبادل بالصواريخ ما بين إسرائيل و حماس.

أما موقف القوى الدولية ممثلا في الولايات المتحدة الأميركية وروسيا فقد جاء مختلفا. ففي حين أدان الرئيس الأميركي أعمال العنف عامة مساويا الآلة العسكرية الإسرائيلية بالمقاومة الفلسطينية المدنية، كان الرد الروسي ناقدا الممارسات الإسرائيلية. ففي مايو 2021، أصدرت وزارة الخارجية الروسية بيانا حمَّلت فيه مسؤولية تأجيج التوترات في القدس على القرار الإسرائيلي الخاص بالإجلاء القسري لعدد من الفلسطينيين من منازلهم في حي الشيخ جراح، وتمرير خطط لبناء 540 وحدة استيطانية جديدة في مستوطنة هارحوما، بالإضافة إلى مقتل الفلسطينيين بفعل الحادث الذي وقع في حاجز سالم غرب مدينة جنين في الضفة الغربية. كما ادان البيان الإعتداءات على المدنيين، و نص على ان " روسيا تؤكد موقفها المبدئي والثابت الذي انعكس في قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة، وهو يقضي بأن مصادرة الأراضي والممتلكات الواقعة فيه والأنشطة الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة منها القدس الشرقية لا تحمل قوة قانونية، وأن هذه الخطوات تمثل انتهاكا للقانون الدولي وتحول دون التوصل إلى تسوية سياسية مبنية على إنشاء دولتين فلسطينية وإسرائيلية تتعايشان بسلام وأمان ضمن حدود العام 1967» (أرتي. 8 مايو 2021). https://arabic.rt.com/middle_east/1229467

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى العديد من الإستنتاجات المهمة فيما يتعلق بظاهرة الاستمرار والتغير في السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية وأهمها:

1- أكدت هذه الدراسة أهمية ومحورية القضية الفلسطينية ضمن القضايا الإقليمية ذات الارتباط العميق بمنظومة الأمن القومي العربي. وقد تبين ذلك من خلال دراسة طبيعة التغير الجذري والسريع الذي اتسمت به السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية حيث لم تتسم تلك السياسة

بالاستقرار والثبات إلا في الوقت الراهن ومع وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

2-على خلاف الاعتقاد السائد بأن احتلال فلسطين هو نتاج جهود الغرب الأوروبي ممثلا في وعد بلفور، فقد لعب المعسكر الشرقي ممثلا في الاتحاد السوفييتي دورا لا يقل أهمية في نشأة دولة الكيان. فقد كان الاتحاد السوفييتي أول دولة تعترف بقيام دولة إسرائيل في العام 1947.

3-تحتل القضية الفلسطينية والمسألة اليهودية موقعا محوريا في أدبيات الفكر الاشتراكي التي انعكست بوضوح في كتابات ماركس وفلاديمير لينين وصولا إلى محاولات جوزيف ستالين في إقامة وطن قومي لليهود على غرار الوعد البريطاني لليهود في إقامة ذلك الوطن المزعوم.

4-شكلت التغيرات الهيكلية التي طرأت على البيئة الدولية لاسيما في الانتقال من الثنائية القطبية إلى التعددية القطبية عاملا مهما في التأثير في السياسة الروسية تجاه القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

5- شهدت السياسة الروسية تغيرا جذريا وانقلابا في المواقف إزاء القضية الفلسطينية منذ نشأتها وحتى بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ووصول الرئيس الثاني لروسيا الاتحادية فلاديمير بوتين في العام 2000. فالبدايات المبكرة لتلك القضية التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تعكس أن الحكومة البلشفية (1917-1947) أخذت موقفا موحدا وساوت ما بين الانتفاضات العربية (1929، 1936) مع الهجرات اليهودية آنذاك التي رأت أنها تمثل البروليتاريا اليهودية المضطهدة، لكن تلك السياسة المحايدة تغيرت جذريا في أربع مراحل:

* التغير الأول كان في العام 1947 وذلك حينما تغيرت السياسة الروسية جذريا لمصلحة اليهود وأعلن الاتحاد السوفييتي مساندته قيام دولة إسرائيل في العام 1947.

* التغير الثاني (1952-1985) حيث انقلبت روسيا ضد إسرائيل بسبب وقوع إسرائيل في المعسكر الغربي مما دفع روسيا إلى تبني القضية الفلسطينية ودعم حركات التحرر العربية.

* التغير الثالث (1985-2000) الذي جاء مع وصول السكرتير السابع والأخير للحزب الشيوعي ميخائيل غورباتشوف حيث تبنى سياسة الإصلاح الداخلي والخارجي، مما أدى إلى انهيار الاتحاد السوفييتي وظهور روسيا الفيدرالية. وعلى الرغم من تلك التغيرات الهيكلية فإن السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية خلال تلك الفترة الزمنية اتسمت بالحياد والرغبة بالإفادة من القضية للحصول على الاعتراف الدولي باعتباره وسيطا وشريكا للسلام. وبذلك فقد خرجت روسيا آنذاك من سياسة المحاور إلى سياسة الوساطة.

* التغير الرابع كان (2000-2011) مع قدوم الرئيس فلاديمير بوتين حيث شهدت السياسة الروسية تغيرا جذريا تمثل في الانتقال التدريجي من التوجه الأطلنطي الذي كان سائدا إبان فترة الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسن إلى التوجه الأوراسي. وعلى إثر ذلك انتقلت السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية من موقف الوساطة إلى المساومة مع الغرب حول العديد من الملفات ذات الأولوية المهمة للسياسة الروسية بما فيها حرب الشيشان والدرع الصاروخية وإمدادات الغاز والطاقة وحرب جورجيا والثورات الملونة.

6- منذ التغير الرابع للسياسة الروسية، فقد اتسمت السياسة الروسية بعد ذلك بالثبات تجاه القضية الفلسطينية التي شهدت تصاعدا في الدور الروسي بوصفه وسيطا للسلام حتى الوقت الراهن. وتعتمد روسيا على دورها في الوساطة على مفهوم الحياد والعلاقات الدائمة مع طرفي النزاع الفلسطيني والإسرائيلي. ومن خلال التمعن في مراحل تطور السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية، نستنتج أن طبيعة الحياد شغلت حيزا كبيرا منها. فقد بدأت تلك السياسة من خلال الحياد تجاه كلا الطرفين، وبعد التغيرات الجذرية الأربعة رجعت مجددا إلى سياسة الحياد.

7-على خلاف الكثير من الآراء التي أكدت أن انشغال روسيا بالملف السوري أدى إلى تراجع الاهتمام الروسي في القضية الفلسطينية، فإن هذه الدراسة خلصت إلى أن أحد أهم نتائج الدور الروسي في سورية تمثلت في الاعتراف الدولي والأميركي بذلك الدور ما أسهم في تعزيز الاعتراف الدولي بالدور الروسي في القضايا الإقليمية وأهمها القضية الفلسطينية. فقد جاء التدخل العسكري الروسي في سورية بتوافق مع الإدارة الأميركية آنذاك التي أطلقت ما سُمي بسياسة القيادة من الخلف والترحيب بالدور الروسي للمساهمة في تحمل التبعات الأمنية والعسكرية والمالية في الحفاظ على الأمن الإقليمي. وذلك أدى إلى زيادة التطلعات العربية نحو دور روسي فاعل يسهم في الوصول إلى التسوية السياسية العادلة للقضية الفلسطينية.

نستنتج مما سبق، أن سياسات القوى الإقليمية والدولية تكتسب أهمية كبيرة في حل القضايا الإقليمية العالقة لاسيما في المنطقة العربية ومنها القضية الفلسطينية. لهذا أصبح من المهم أن تسعى السلطة وجميع الفصائل الفلسطينية إلى تجاوز حالة الانقسام الفلسطيني الذي أصبح مطلبا مهما للإفادة من تنامي الدور الإقليمي للقوى الدولية الصاعدة في منطقة الشرق الأوسط من أجل الوصول إلى حلول عادلة للقضية الفلسطينية. يرتبط بذلك أيضا توحيد المواقف العربية في إطار جامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي حتى تعبر عن موقف إقليمي موحد يشكل ضغطا مهما يسهم في تبني القوى الدولية لوجهات النظر العربية إزاء جميع القضايا العربية والإقليمية بما فيها القضية الفلسطينية.

المصادروالمراجع

المصري، ا. (2021). مقابلة شخصية عبر الهاتف مع استاذ العلوم السياسية في غزة-فلسطين.

زهران، ج. (2021). مقابلة شخصية عبر الهاتف مع استاذ العلوم السياسية بجامعة بورسعيد-مصر.

علاء، ح. (2021). مقابلة شخصية عبر الهاتف مع استاذ العلوم السياسية في قطاع غزة-فلسطين.

عودة، ر. (2021). مقابلة شخصية عبر الهاتف مع مدير وحدة الأبحاث في معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي. الضفة الغربية، رام الله، فلسطين.

الأمارة، ل. (2009). *الإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة و انعكاساتها على المنطقة العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

الشيخ، ن. (1998). *صناعة القرار في روسيا و العلاقات العربية-الروسية*. (ط1). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

النائلي، ع. (2017). *روسيا الإتحادية و مستقبل التوازن الإستراتيجي العالمي*. (ط1). بيروت: الدارالعربية للعلوم ناشرون.

بريماكوف، ي. (2004). *العالم بعد 11 سبتمبر و غزو العراق*. الأردن: مكتبة العبيكان.

ترينين، د. (2018). *أهداف موسكو في الشرق الأوسط*. بيروت: دار الكتاب العربي.

توفيق، س. (2006). *مباديء العلاقات الدولية*. (ط3). عمان: دار وائل للنشر.

شيفتسوفا، ل. (2006). *روسيا بوتين*. بيروت: الدار العربية.

عمارة، س. (2021). *موسكو-تل أبيب وثائق و أسرار*. القاهرة: دار نهضة مصر للنشر.

فاسلييف، ا. (1997). *روسيا في الشرقين الأدني و الأوسط من الرسولية الى البراجماتية*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

محمود، أ. (2013). *الإتحاد السوفيتي وتأسيس دولة اسرائيل*. (ط1). القاهرة: عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية.

الشيخ، ن. (2009). الإستمرار و التغير في السياسة الروسية اتجاه العراق في فترة مابعد الإحتلال الأمريكي. *المجلة العربية للعلوم السياسية، بيروت*.

الشيخ، ن. (2003). تطورات الدور الروسي في الشرق الأوسط في مطلع القرن الحادي و العشرين. *مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن*.

الصبان، ز. (2020). على هامش الأمن القومي العربي: قراءة نقدية في أوراق عربية رسمية. *مجلة شئون عربية*، القاهرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، 183.

العربي، غ. (2008). عودة روسيا الى الشرق الأوسط: دخول اسرائيل على خط العلاقات العربية-الإسرائيلية. *مجلة شئون مشرقية، بغداد*، 1.

العلاف، ا. (2016). *مؤتمر شعوب الشرق في باكو 1920*.

بوشنافة، ش. (2013). "التغير في السياسة الخارجية: دراسة نظرية. *المجلة الجزائرية للأمن و التنمية، الجزائر*، 4.

حارب، م. (2016). دور مشهود لروسيا في نكبة فلسطين. *موقع عرب 48*.

حمام، م. (2017). العلاقات الروسية-الإسرائيلية في عهد بوتين في الفترة من 2000-2016. *المركز الديمقراطي العربي*.

راجحة، د. (2012). *روسيا الإتحادية: دراسات دولية*. دمشق: مركز الدراسات العسكرية.

سرور، ع. (2018). دراسة تطور المواقف و الرؤى الروسية و الصينية و التركية تجاه الحل السلمي للقضية الفلسطينية. *مجلة شئون فلسطينية، رام الله، منظمة التحرير الفلسطينية*، 272.

محمد، و. (2011). العلاقات الروسية الاسرائيلية بعد مؤتمر مدريد للسلام. *مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، بغداد*، 47.

دلول، ص. (2017). *أثر العلاقات الروسية الإسرائيلية على القضية الفلسطينية 2012-2017. رسالة ماجستير في العلاقات الدولية*، جامعة الأقصى، غزة.

أباي، إ. (2017). روسيا تُعَدّ القدس الغربية عاصمة لإسرائيل و الشرقية لفلسطين. *اندلس اجينسي*.

أبو عامر، ع. (2021). روسيا تضاعف طموحاتها في فلسطين. *عربي بوست*.

الرجوب، ع. (2011). دور روسي في الملف الفلسطيني. *الجزيرة نت*.

بورشفسكايا، آ. (2016). نضوج العلاقات الاسرائيلية الروسية. *معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدني*.

فهمي، ع.، وليسينج، و. (2020). السلطة الفلسطينية تقع علاقاتها مع اسرائيل و أمريكا. *رويترز*.

ماهر، م. (2020). صائب عريقات للمصري اليوم: خطة ترامب استنساخ لمقترحات نتنياهو عام 2012. *المصري اليوم*.

مصطفى، م. (2017). العلاقات الإسرائيلية الروسية في سياق الأزمة السورية. *الجزيرة نت*.

References

Al-Haj, M. (2020). *The Russians in Isreal: A New Ethnic Group in A Tribal Society*. The UK: Routlege.

Brzezinski, Z. (2015). Russia Must Work with, not against, America in Syria. *Financial Times*.

Gilpin, R. (1981). *War and Change in World Politics*. Cambridge University Press.

Hermann, C. F. (1990). Changing course: when governments choose to redirect foreign policy. *International Studies Quarterly*, *34*(1), 3-21.

Holsti, K.J. (1982). *Why Nations Realign: Foreign Policy Restructuring in the Postwar World*. Boston, MA: Allen and Unwin.

Holsti, K.J. (1983). *International Politics: A Framework for Analysis*. NJ: Pretice-Hall.

https://www.cambridge.org/core/books/war-and-change-in-world-politics/3A41732AFF3F08687A9FEDA2AF1E6A5D

Hudson, V., & Benjamin, S. (2019). *Foreign Policy Analysis: Classic & Contemporary Theory*. NY: Rowman & Littlefiled.

Khouri, F. (1985). *The Arab-Israeli Dilemma*. Syracuse University Pres.

Kramer, A. (2021). Russian Warships Said to Be Going to Naval Base in Syria. *The New York Times*.

Neack, L. (2014). *The New Foreign Policy: Complex Interaction, Competing Interest*. Lanham, Maryland: Rowman & Littlefield Publisher, INC.

Parfitt, T. (2008). Billionaires boom as Putin puts Oligarchs at No2 in global rich list. *The Guardian*.

Primakov, Y. (2009). *Russia and the Arabs: Behind the Scenes in the Middle East from the Cold Wat to the Present*. UK: Basic Books.

Rosati, J. A. Joe D. Hagan, and Martin W. Sampson III, eds. (1994). *Foreign Policy Restructuring: How Governments Respond to Global Change*.

Rosenau, J. (1981). *The Study of Political Adaptation, Essays on the Analysis of World Politics*. NY: Nicholas Pub. Co.

Saks, J. (1999). Russia's Failure to Reform. *Project Syndicate*.

Skidmore, D. (1994). Explaining state responses to international change: The structural sources of foreign policy rigidity and change. *Foreign Policy Restructuring: How Governments Respond to Global Change*, 43-64.

Volgy, T. J., & Schwarz, J. E. (1991). Does politics stop at the water's edge? Domestic political factors and foreign policy restructuring in the cases of Great Britain, France, and West Germany. *The Journal of Politics*, *53*(3), 615-643.